

دراسات نفسية في القرآن والسنة النبوية
2
الهدية
دَوافِعُها الإيمانية
ودلالاتُها النفسية والاجتماعية
قال ﷺ: (تَهادَوا تَحابُّوا)
تأليف: محمد عمر دولة
الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م
يذهب رِيعُ هذا الكتاب لِدَعْمِ الأيتام

بسم الله الرحمن الرحيم

# إهـــــداء

## إلى المؤمنين..
## الذين يُدخِلُون السعادةَ
## على الآخرين!

قال أبو عبد الرحمن الحُبُلِي:

"ليس هديَّةٌ أفضلَ مِن كلمةِ حِكْمَةٍ تُهْدِيها لأخيك"!

سنن الدارمي ١/١٠٠.

# فهرس الموضوعات

المبحثُ الأول:
الدوافعُ الإيمانيَّة للْهَديَّة
الهدية مَن ثمرات الأخُوَة ........................ ٤
تحريم الرِجُوع فيَ الهديةَ ........................ ٦
قليل الهدية وكثيرُها ........................ ٧
الهديةِ وحلاوة الإيمان ........................ ٧
الهدية علامِة على مَكارمِ الأخلاق ........................ ٩
الهديةِ صلةٍ للأرحام ........................ ١٠
الهدية عَوَنٌ لأصحاب الحاجات ........................ ١١
الهدية لتأليف القلوبَ ........................ ١٢
المبحث الثانيَ:
الدلالاتُ النفسيَّة للْهَديَّة
الهدية علامة المحبَة ........................ ١٢
العدل بين الأبناء في الهدايا ........................ ١٤
الهديةِ دليلِ على سخاء النفس ........................ ١٤
الهدية تعبيرٌ عن التوقيرَ ........................ ١٥
اختلافُ النية من تقديمِ الهدية ........................ ١٦
الهدية التجاريَة ........................ ١٧
الهدية الرشوة ........................ ١٧
كراهة قبول هَدايا الجُفاة ........................ ١٩
أعظم الهدايا ........................ ١٩
أفكارُنا هديةٌ لإسعاد الآخرين ........................ ٢٠
المبحث الثالث:
الأبعاد الاجتماعية للهدية
الهدية وثمراتُها الاجتماعية ........................ ٢٠
انحراف التعامُل مع الهديةِ ........................ ٢١
الهديةِ مَطيَّة للمآرب السياسية ........................ ٢٤
الهدية والمكاسبُ المادية ........................ ٢٥
هَدية الاختبارَ ........................ ٢٦
هدَايا المدَّاحين والمداهنين ........................ ٢٦
الهدية والسيَاسة الدولية ........................ ٢٨

مقدمة:

الحمد لله ربِّ العالَمين، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله الأمين، وعلى آله وصَحبه ومَـــن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين. وبعد، فإنَّ للهديّة أهميّةً في الإسلام؛ من حيث دلالاتهـــا النَّفســـيّة وأبعادها الاجتماعيّة! فالهديةُ عَلامةٌ على الأخُوَّة بين المسلمين، ودليلٌ على بِرِّ الرجلِ أهلَه وإخوانه: سواءٌ في ذلك هَدايا الأبدانِ، أو هَدايا الأرواحِ والعُقول![1]

ولأهمـــيةِ (الهديـــةِ) لم يَكَـــدْ يَخلُو كتابٌ من أُمهاتِ كُتبِ (التفسيرِ) و(الحديثِ) و(الفقهِ) الإسلامي من ذِكْرِ (الهدية) و(الْهِبَة)؛ ولا عَجَباً فالهديةُ صلةٌ للأرْحامِ ووَفاءٌ للأقرَبين، ورَحْمةٌ للفُقراء والأيتامِ، وإدخالٌ للسُّرُورِ على المسلمين.[2]

---

١ وقـــد رأيتُ هذا عند أهلِ العلمِ الفُضَلاء؛ فإنهم يحرصون على إكرامِ طُلابهم وزائريهم بهدايا العقولِ والأرواحِ والأبدان؛ فينتفع جليسُهم بعلمِهم ومَوعِظتِهم وضيافتِهم! فمن هؤلاء شيخ الإسلام محمد علي الطريفي رحمه الله؛ فقد كان غايةً في بَذْلِ علمِه ووَعظِه ومالِه.

٢ وقد لَحظَ اللُّغويُّون منْ دلالاتِ (الهديّة) معنى (الإكرام) و(المودة)؛ فقالوا: "الهديّة: ما أهديتَ إلى ذي مـــودّة: مـــن برّ". كتاب العين للخليل بن أحمد ص ١٠٠٧. دار إحياء التراث العربي. بيروت، ومعجم مقاييـــس اللغـــة لابـــن فارس ٦/٤٢-٤٣. دار الكتب العلميّة، بيروت. تحقيق عبد السلام هارون، وكذلـــك "ما يقدّمُهُ القَريبُ أو الصَّديقُ من الألطاف" المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربيّة. القاهرة. ٢/ ٩٧٩. ط٢ "والإكـــرام" المصباح المنير للفيّومي ص ٣٧٨. دار الحديث، القاهرة. ط١. ١٤٢١هــ. وقـــال الراغـــب: "الهديةُ مُختَصّةٌ باللُّطَفِ الذي يُهْدي بعضُنا إلى بعضٍ، قال تعالى: (وإنّي مُرْسِلَةٌ إليهم بِهَدِيَّةٍ) النمل٣٥، (بَلْ أنتم بِهَدِيَّتِكم تَفْرَحُون) النمل ٣٦". مفردات ألفاظ القرآن العظيم للراغب، مادة (هدي).

## المبحَثُ الأول: الدوافعُ الإيمانيَّة للْهَديَّة:

### الهديةُ مِن ثَمَراتِ الأُخُوَّةِ:

تستمِدُّ الهديةُ دلالاتِها الإيمانية؛ مِن كَوْنِها دليلاً على صِدْقِ الأُخُوَّةِ؛ فإنَّ كمالَ الإيمانِ يستدعي مَحبةَ الخيرِ للآخَرين، وإشْراكَهم فيه، كما قال الله عزَّ وجلَّ: (وآتَى المالَ على حُبِّه)[3] قال ابنُ كثير رحمه الله: "أي أخرجَه وهو مُحبٌّ له راغبٌ فيه... نَصَّ على ذلك ابنُ مسعود وسعيدُ بن جُبَيْر وغيرُهما من السَّلفِ والخلَف، كما ثَبتَ في الصحيحَيْن من حديث أبي هريرة مرفوعا: (أفضلُ الصدقةِ أن تَصدَّقَ وأنتَ صَحيحٌ شَحيحٌ تأْمَلُ الغنَى وتَخشى الفَقر)".[4]
وقد قال جلَّ جلالُه: (لن تنالُوا البرَّ حتى تُنفِقُوا مما تُحِبُّون).[5] وروى أنس بن مالك ﷺ قال: (كان أبو طلحة أكثرَ الأنصارِ بالمدينة مالاً مِن نخلٍ، وكان أحَبُّ أموالِه إليه بَيْرُحاء، وكانت مُستقبلةَ المسجدِ وكان رسولُ اللهﷺ يدخلها ويشربُ من ماءٍ فيها طيِّبٍ، قال أنس: فلما أُنزِلَت هذه الآية (لن تنالُوا البرَّ حتى تُنفِقُوا مما تُحِبُّون)، قام أبو طلحة إلى رسولِ اللهﷺ فقال: يا رسولَ الله إنَّ الله تبارك وتعالى يقول: (لن تنالُوا البرَّ حتى تُنفِقُوا مما تُحِبُّون) وإنَّ أحَبَّ أموالي إلَيَّ بَيْرُحاء، وإنها صَدقةٌ لله؛ أرجُو بِرَّها وذُخْرَها عند الله؛ فضَعْها يا رسولَ الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: بَخٍ! ذلك مالٌ رابِحٌ).[6]

---

٣ البقرة ١٧٧.

٤ تفسير القرآن العظيم ٢٠٩/١.

٥ آل عمران ٩٢.

٦ صحيح البخاري ٥٣٠/٢، باب (الزكاة على الأقارب. وقال النبيﷺ: (له أجران: أجر القرابة والصدقة) حديث ١٣٩٢. وصحيح مسلم ٦٩٣/٢، باب (فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين) حديث ٩٩٨.

وأمثالُ هذا كثيرٌ، كما قال القرطبي رحمه الله: "كذلك فعلَ زيدُ بن حارثة؛ عَمَدَ مما يُحِبُّ إلى فرسٍ يقالُ له (سَبَل)، وقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس لي مالٌ أحَبُّ إليَّ من فرسي هذه؛ فجاء بها إلى النبيﷺ، فقال: هذا في سبيلِ الله، فقال لأسامة بن زيد: اقبضْه؛ فكأنَّ زيداً وَجَدَ من ذلك في نفسه، فقال رسولُ اللهﷺ: إنَّ الله قد قَبِلَها منك، ذكره أسدُ بن موسى. وأعتقَ ابنُ عمر نافعاً مولاه وكان أعطاه فيه عبدُ الله بن جعفر ألفَ دينار! قالت صفيةُ بنت أبي عُبَيد: أظنُّه تأوَّلَ قولَ الله عزَّ وجل: (لن تنالُوا البِرَّ حتى تُنفِقُوا مما تُحِبُّون). وروى شِبْلُ عن أبي نَجيح عن مجاهد قال: كتبَ عمرُ بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاعَ له جاريةً من سَبْيِ جَلُولاء يومَ فتح مدائن كسرى، فقال سعد بن أبي وقاص: فدعا بها عمر، فأعجَبَتْه؛ فقال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: (لن تنالُوا البِرَّ حتى تُنفِقُوا مما تُحِبُّون) فأعتَقَها عمرﷺ. وروى عن الثوري أنه بلغَه أنَّ أمَّ ولد الربيع بن خيثم قالت: كان إذا جاءه السائل، يقول لي: يا فُلانةُ أعْطِي السائلَ سُكَّراً؛ فإنَّ الربيعَ يُحِبُّ السُّكَر؛ قال سفيان: يتأوَّلُ قولَه عزَّ وجَلَّ: (لَن تَنالُوا البِرَّ حتى تُنْفِقُوا مما تُحِبُّون)، ورُوِي عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يشتري أعْدالا من السُّكَّر ويتصدَّقُ بها؛ فقيلَ له: هلا تَصَدَّقْتَ بقِيمَتِها؟ فقال: لأنَّ السُّكَّرَ أحَبُّ إليَّ؛ فأرَدْتُ أن أُنفِقَ مما أُحِبُّ".[7]

---

٧ الجامع لأحكام القرآن ٤/١٣٢-١٣٣. وقد ذكرَ الذهبي في ترجمة الإمامِ الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي صاحب الأحكام الكبرى والصغرى عن بعضِ أصحابه قال: "شاهَدتُ الحافظَ في الغَلاء بمصر وهو ـ ثلاثَ ليالٍ ـ يُؤثِرُ بعَشائه ويَطْوي، ورأيتُ يوما قد أُهْدِيَ إلى بيتِ الحافظ مِشْمِشٌ؛ فكانوا يُفرِّقون فقال من حينِه: فَرِّقُوا؛ (لن تنالُوا البِرَّ حتى تُنفِقُوا مما تُحِبُّون)". سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٥٨/٢١، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٣ هـ.

وقد روى أنس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: (لا يؤمنُ أحدُكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه)؛[8] وقد يَبلُغُ الإيمانُ بالصادقين درجةَ الذين يَهَبُون إخوانَهم ما عندَهم، و(يُؤثِرُون على أنفُسِهم ولو كان بِهم خَصاصةٌ).[9] فإنْ لم يَجدوا؛ (تَوَلَّوْا وأعيُنُهم تَفيضُ مِن الدَّمعِ حَزَناً ألا يَجِدُوا ما يُنفِقُون)![10] قال ابنُ كثير رحمه الله: "قال تعالى: (ويُطْعِمُون الطعامَ على حُبِّه مِسكيناً ويَتيماً وأسيراً إنما نُطْعِمُكم لِوَجه الله لا نُرِيدُ منكم جزاءً ولا شُكُوراً)،[11] وقال تعالى: (لن تنالُوا البِرَّ حتى تُنفقُوا مما تُحبُّون).[12] وقولُه: (ويُؤثِرُون على أنفُسِهم ولو كان بِهم خَصَاصَةٌ)[13] نَمَطٌ آخَرُ أرْفَعُ مِن هذا! وهو أنهم آثَرُوا بما هم مُضطَرُّون إليه، وهؤلاء أعْطَوْا وأطْعَمُوا ما هم مُحِبُّون له".[14]

## تحريم الرُّجُوعِ في الهدية:

اعتباراً لما تتضمَّنه الهديةُ مِن معاني الإنسانيةِ والأُخُوَّة الإيمانية التي تقدَّم بيانُها؛ جَعَلَ النبيﷺ الرُّجُوعَ في الهبةِ بعد إعْطائها انتكاسةً إنسانيةً إلى حَضيضِ البهيمية، وصَوَّرَ ذلك أبشعَ تصويرٍ؛ ومثَّلَه بالكلبِ: أخَسِّ الحيواناتِ وأقْذَرِها في أبْشَعِ حالٍ

---

٨ رواه البخاري ١٤/١ في كتاب (الإيمان) باب (من الإيمان أن يُحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه) حديث ١٣ ومسلم ٦٧/١ في كتاب (الإيمان) باب (الدليل على أنّ مِن خصالِ الإيمان أنْ يُحبَّ لأخيه المسلمِ ما يُحِبُّ لنفسه من الخير) حديث ٤٥.

٩ الحشر ٩.

١٠ التوبة ٩٢.

١١ الإنسان ٨-٩.

١٢ آل عمران ٩٢.

١٣ الحشر ٩.

١٤ تفسير القرآن العظيم ٢٠٩/١.

وأقْذَرِهـــا: حـــين يعُود في قَيْئه، فقال ﷺ: (العائدُ في هِبَته كالكَلب يَعُودُ في قَيْئه).[15]
وحَسْـبُك بهذه الصُّورة النبوية المُعَبِّرَة دلالةً عَمَّا في العَوْد في الهدية من قَذارةِ نَفسٍ وخِسَّـــةِ طَبعٍ ودَناءة خُلُقٍ وصَفاقَة وَجهٍ وانعدامِ مُرُوءةٍ وقِلّة حَياء؛ لا يَقَعُ فيها إلا حُثالةُ القومِ ورُذالَتُهم![16]

## قليلُ الهَديةِ وكَثيرُها:

لا يلـــزمُ في الهديةِ أن تكونَ ثقيلةَ الأوزانِ باهظةَ الأثمانِ؛ فقد روى البخاري في باب (القليل من الهبة) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لو دُعيتُ إلى ذِراعٍ أو كُراعٍ؛ لأجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إليَّ ذِراعٌ أو كُراعٌ؛ لَقَبِلْتُ)![17]
ولَيسَـــتْ الهديـــةُ قاصرةً على الأغنياء؛ فقد وَرَدَ الثناءُ على (الإنفاقِ من الإقتار)؛ باعتبارِه دليلاً على كمالِ إيمانِ بعضِ الفُقَراء؛[18] فالعِبْرةُ إذن بالسَّخاءِ!

---

١٥ رواه البخاري في كتاب الهبة باب (باب لا يحل لأحدٍ أن يرجعَ في هِبَته وصَدَقَته) حديث ٢٤٧٨ عـــن ابـــن عـــباس رضي الله عنهما. وفي بعض الروايات بزيادة (ليس لنا مثل السَّوء) في أولها: حديث ٢٤٧٩. وفي بعضها في آخرها: ح ٦٥٧٤. ورواه مسلم في (باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وَهَبه لولده وإن سفل) ح ١٦٢٢.
١٦ وهذا يشمَلُ لِمَنْ تَدبَّرَ كلَّ ما هو في معنَى العَوْد في الهبة: مثل إتباعها بالمنِّ والأذى، كما قال تعالى: (يـــا أيها الذين آمنوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتكم بالمنِّ والأذى كالذي يُنفِقُ رِئاء الناس) البقرة ٢٦٤. ويشهد لهـــذا العمومِ ما رواه عمر رضي الله عنه قال: (حملت على فرسٍ في سبيلِ الله فابتاعه أو فأضاعه الذي كان عنده؛ فـــأردتُ أن أشترِيَه وظننتُ أنه بائعُه برُخصٍ، فسألت النبي ﷺ فقال: لا تشتره وإنْ بدِرْهَم؛ فإنَّ العائدَ في هبتِه كالكلب يعود في قيئه). رواه البخاري ح ٢٨٤١.

١٧ صحيح البخاري ٢/٩٠٨، حديث ٢٤٢٩.
١٨ قـــال عمار رضي الله عنه: (ثلاثٌ مَن جمَعَهن؛ فقد جَمَعَ الإيمان: الإنصاف مِن نفسك، وبذل السلام للعالَم، والإنفـــاق مـــن الإقتار)، رواه البخاري ١٩/١ معلقاً في كتاب الإيمان باب إفشاء السلام من الإسلام. حديث ٢٨.

وما أكثرَ القليلَ إذا كان نابعاً من قَلْب نَبيلٍ! كما قال الشاعر:

قليــــلٌ منكَ يَنْفعُني ولكنْ　　قَليــــلُكَ لا يُقــــالُ لَهُ قَليلُ!

وما أعظمَ العَطاءَ وإنْ قَلَّ؛ إذا صَدَرَ عنْ سَماحة وإخاء، كما قيلَ:

لا تَنظُرَنَّ إلى زَهيدِ هَديّةٍ　　بَلْ فانْظُرَنَّ لِقَلْبِ مَنْ أهْداها!

## الهديةُ وحلاوة الإيمان:

لا ريبَ أنَّ الهديةَ الخالصةَ النابعةَ من المحبةِ الصادقة؛ تُثْمرُ حلاوةَ الإيمانِ، ومَن جَرَّبَ حَــلاوةَ مُساعَدة الآخَرين؛ شعرَ بهذه السعادةِ النابعة من الأخُوَّة الصادقة؛ فقد عَبَّرَ عنها النبيُّ ﷺ بحلاوةِ الإيمان، كما روى أنس رضي الله عنه أنَّ النبيﷺ قال: (ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه؛ وَجَدَ حلاوةَ الإيمان: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحَبَّ إليه مما سِواهما، وأنْ يُحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وأنْ يَكرهَ أنْ يعودَ في الكُفرِ كما يكرهُ أن يُقذَفَ في النار).[١٩]

فـــــ"لا شيءَ في هذه الحياة يَعْدلُ ذلك الفرحَ الرُّوحيَّ الشَّفيفَ الذي نَجدُه، عندما نســـتطيعُ أن نُدْخلَ العَزاءَ أو الرِّضَى، الثقةَ أو الأملَ أو الفرحَ إلى نُفوسِ الآخَرين! إنهـــا لَذةٌ سماويةٌ عَجيبةٌ، ليست في شيءٍ من هذه الأرض. إنَّ هذا لَهُوَ الفَرَحُ النقيُّ الخالصُ، الذي ينبعُ مِن نُفُوسِنا، ويرتدُّ إليها بِدُون حاجة إلى أيِّ عَناصرَ خارجيةٍ عن ذَواتِنا، إنه يَحملُ جزاءَه كاملاً؛ لأنَّ جزاءَه كامنٌ فيه"![٢٠]

---

١٩ رواه البخاري١/١٤ في كتاب (الإيمان) باب (حلاوة الإيمان)، حديث ١٦. ورواه مسلم ١/٦٦ في باب (بيان خِصالِ مَن اتصفَ بهن وجدَ حلاوةَ الإيمان)، حديث ٤٣.

٢٠ أفراح الروح لسيد قطب دار عمار، تحقيق د. صلاح الخالدي.

## الهديةُ علامةٌ على مَكارمِ الأخلاق:

لا شـــك أنَّ الهديةَ دليلٌ على خُلُقٍ كريمٍ وسَخاءٍ عَميمٍ وغِنًى في النفسِ وبراءةٍ من الشُّــح؛ فــإنَّ الــنفوسَ قد جُبِلَتْ على الشُّحِّ والأَثَرةِ كما قال تعالى: (وأُحْضِرَتْ الأَنفُسُ الشُّح)؛[21] فلا تتغلَّبُ على الشُّحِّ إلا بدافِعِ الإيمان، كما قال الله عزَّ وجلَّ: (ومَن يُوقَ شُحَّ نَفسِه فأولئك هم المفلحُون).[22]

ورَحِــمَ الله الزرقاني حيث قال: "الهديةُ خُلُقٌ من أخلاقِ الإسلام؛ دلَّتْ عليه الأنبياءُ علــيهم الصــلاة والســلام، وحَثَّ عليه خُلفاؤهم الأولياء؛ تؤلِّفُ القُلوبَ وتَنْفِي سَخائمَ الصُّدور".[23] وما أَحْسَنَ ما قِيل:

هَدايــا الناسِ بَعضِهم لِبعضٍ    تُوَلِّدُ في قُلــوبِهم الــمَوَدَّةْ!
وتزرَعُ في النفوسِ هَوًى وحُبًّا    لِصَرْفِ الدَّهْرِ والحدَثانِ عُدَّةْ!
وتصطادُ القُلوبَ بلا شِراكٍ    وتُسْعِدُ حَظَّ صاحِبِها وجَدَّهْ!

وقــال القــرطبي رحمــه الله: "الهديةُ مَندُوبٌ إليها؛ وهي مما تورثُ المودةَ وتُذهِبُ العَداوة... وعلى الجملة فقد ثَبَتَ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَقبَلُ الهدية. وفيه الأسْوةُ الحسنة؛ ومــن فَضــلِ الهديةِ مع اتباعِ السنةِ أنها تزيلُ حَزازاتِ النفوس وتُكْسِبُ الْمُهْدِي والْمُهْدَى إليه رَنةً في اللقاءِ والجلوسِ؛ ولقد أَحْسَنَ من قال:

هَدايــا الناسِ بعضِهم لِبَعضٍ    تُوَلِّدُ في قُلُوبِهِــم الوِصالا!
وتَزرَعُ في الضَّميرِ هَوًى ووُدًّا    وتَكْسُوكَ المهابةَ والجمالا!"[24][25]

---

[21] النساء ١٢٨.

[22] الحشر ٩ والتغابن ١٦.

[23] شرح الزرقاني للموطأ ٣٣٣/٤.

[24] ديوان دعبل الخزاعي ص ٢٦٠. دار الكتاب اللبناني. ط٣. ١٤٠٩ هـ.

[25] الجامع لأحكام القرآن ١٩٩/١٣.

ولله دَرُّ سـيد قطـب؛ ما أحْسَنَ قولَه: "أحْيانا تَصْعُبُ التفرقةُ بين الأخْذ والعَطاء؛ لأنهما يُعْطيان مَدْلُولاً واحداً في عالَمِ الرُّوح! في كُل مَرَّة أعْطَيتُ لقد أخَذْتُ؛ لستُ أعـني أنَّ أحَـداً قد أعْطَى لي شيئاً، إنما أعْني أنَّني أخَذتُ نفسَ الذي أعْطَيتُ؛ لأنَّ فَرحَتِي بما أعْطَيتُ لم تكنْ أقلَّ مِن فَرحةِ الذين أخَذُوا".[26]

## الهدية صِلَةٌ للأرحام:

لقـد أثْنَى اللهُ عزَّ وجلَّ على مَن أنفقَ (وآتى المالَ على حُبِّه ذوي القُربَى)؛[27] لما في ذلـك مـن الوفاءِ والمروءةِ والرحمةِ والشفقة على الأقربين، كما قال ابنُ كثير رحمه الله: "هُـم قَراباتُ الرجلِ، وهم أوْلَى مَن أعْطَى مِن الصدقة، كما ثَبتَ في الحديث: (الصدقةُ على المساكين صَدقةٌ، وعلى ذوي الرَّحمِ ثِنْتان: صَدقةٌ وصِلَةٌ)؛ فهم أوْلَى الـناسِ بِبِرِّك وإعطائك، وقد أمَرَ اللهُ تعالى بالإحْسان إليهم في غيرِ مَوضعٍ مِن كتابه العزيـز".[28] وقد قال النبيﷺ لأبي طلحةﷺ حينما تصدَّقَ بِبَيْرُحاء: (بَخٍ! ذلك مالٌ رابِـح ذلك مالٌ رابحٌ... وإني أرى أن تَجعلَها في الأقرَبين، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسـولَ الله؛ فقَسَمَها أبو طلحة في أقاربِه وبني عمِّه).[29] قال الغزالي رحمه الله: "وهو مع الأقارب أحَبُّ؛ لأنَّ فيه صِلةَ الرَّحِم".[30] وقال ابنُ قدامة رحمه الله: "هِبَةُ القريبِ

---

٢٦ أفراح الروح دار عمار، تحقيق د. صلاح الخالدي. ولله دَرُّ زياد الأعجم ما أحسنَ قولَه:

تراه إذا ما جئتَه متهلِّلاً كأنك تُعْطِيه الذي أنتَ سائلُه!

٢٧ البقرة ١٧٧.

٢٨ تفسير القرآن العظيم ٢٠٩/١.

٢٩ صـحيح الـبخاري ٥٣٠/٢، باب (الزكاة على الأقارب. وقال النبيﷺ: (له أجران: أجر القرابة والصدقة) حديث ١٣٩٢. وصحيح مسلم ٦٩٣/٢، باب (فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين؛ ولو كانوا مُشرِكين) حديث ٩٩٨.

٣٠ الوسيط للغزالي ٢٧١/٤، دار السلام القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ.

افضـــلُ لقولِ رسولِ اللهِ ﷺ (الرَّحِمُ شِجْنَةٌ من الرحمن؛ فمَن وَصَلَها وَصَله الله، ومَن قَطَعَهـــا قَطعَه الله)[31]".[32] قال ابن حجر رحمه الله: " قال القرطبي: الرحم التي تُوصَلُ عامـــةٌ وخاصـــةٌ، فالعامة: رَحِمُ الدِّينِ، وتجب مُواصَلتُها بالتوادُدِ والتناصُحِ والعدلِ والإنصـــافِ والقـــيامِ بالحقوقِ الواجبةِ والمستَحَبة، وأما الرَّحِمُ الخاصةُ فتزيد النفقةَ على القريبِ، وتفقدَ أحوالهم، والتغافلَ عن زلاتهم، وتتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلـــك كما في الحديث الأول من كتاب الأدب (الأقرب فالأقرب). وقال ابن أبي جمـــرة: تكون صِلةُ الرَّحِمِ بالمالِ وبالعَونِ على الحاجةِ وبدفعِ الضررِ وبطلاقةِ الوجه وبالدعـــاء. والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة".[33]

## الهديةُ عَوْنٌ لأصْحابِ الحاجاتِ:

لقد مَدحَ اللهُ جلَّ جلالُه المؤمنين بأنهم يتفقَّدُون المحتاجِين (ويُطعِمُون الطعامَ على حُبِّه مسْـــكِيناً ويَتيماً وأسِيراً إنما نُطعِمُكم لِوَجهِ الله لا نُريدُ منكم جزاءً ولا شُكوراً).[34] وأثْـــنَى الله عـــز وجلَّ على المنفِقَ الذي (آتى المالَ على حُبِّه ذوي القُربَى واليتامى والمســـاكِينَ)،[35] قـــال ابنُ كثير رحمه الله: "(اليتامى) هم الذين لا كاسِبَ لهم، وقد

---

٣١ رواه الـــبخاري عن أبي هريرة ٢٢٣٢/٥، باب (مَن وَصلَ وصَلَه الله)، حديث ٥٦٤٢. قال ابن حجـــر: "(الـــرَّحِمُ شِجْنَة) بكسر المعجمة وسكون الجيم بعدها نون... وأصل الشجنة: عُرُوقُ الشجر المشتبكة... والمعنى أنه أثرٌ مِن آثارِ الرحمةِ مشتبكة بها؛ فالقاطع لها منقطعٌ من رحمةِ الله". فتح الباري ١٠/ ٤١٨.

٣٢ الكافي في فقه ابن حنبل ٤٦٤/٢. المكتب الإسلامي بيروت، ط٥، ١٤٠٨ هـ.

٣٣ فتح الباري ٤١٨/١٠.

٣٤ الإنسان ٨-٩.

٣٥ البقرة ١٧٧.

مات آباؤهم وهم ضُعَفاءُ صِغارٌ دون البلوغِ والقدرةِ على التكسُّب... (والمساكين) هم الذين لا يَجِدُون ما يَكْفِيهم في قُوتِهم وكِسْوَتِهم وسُكناهم؛ فيُعْطَوْن ما تُسَدُّ به حاجَتُهم وخُلَّتُهم".[٣٦]

## الهدية لتأليفِ القلوب:

فقد تُبذَلُ الهديةُ للتأليفِ كما حَصَلَ في صَدرِ الإسلامِ، ويُراعَى فيها مَصلحةُ الدعوة؛ فليست هديةَ مُحاباةٍ أو مُداهَنةٍ؛ بل هي الرغبةُ في دُخُولِ الناسِ في الإسلام، وكفِّ الأذى عن الدعوة.[٣٧]

## المبحثُ الثاني: الدلالاتُ النَّفسيَّة للْهَدِيَّة:

### الهديةُ علامةُ المحبة:

ما زالت (الهديّةُ) واحِدَةً من مُفرَدات العاشقِين وقامُوسِ المُحِبِّين؛[٣٨] فهي عنوانُ المحبّة ودليلُ المودَّة، كما روى أبو هريرةﷺ عن النبيﷺ قال: (تَهادَوْا[٣٩] تَحابُّوا).[٤٠] فقد

---

٣٦ تفسير القرآن العظيم ١/٢٠٩.

٣٧ قال ابن قدامة رحمه الله: "المؤلفة قلوبهم ضربان: كفارٌ ومسلمون، وهم جميعا السادة المطاعون في قومهم وعشائرهم. فالكفار ضربان: أحدهما مَن يُرجَى إسلامُه؛ فيُعطَى لتقوى نيتُه في الإسلامِ، وتميلَ نفسُه إليه فيُسلِم؛ فإن النبيﷺ يومَ فتحِ مكة أعطى صفوانَ بن أمية الأمان واستنظره صفوان أربعة أشهر لينظر في أمره، وخرج معه إلى حنين فلما أعطى النبيﷺ العطايا قال صَفوان: ما لي؟ فأومأ النبيﷺ إلى وادٍ فيه إبلٌ مُحمَّلةٌ، فقال: هذا لك. فقال صفوان: إنّ هذا عطاءُ مَن لا يخشى الفقرا والضرب الثاني: من يُخشَى شَرُّه ويُرجَى بِعَطيتِه كفُّ شَرِّه وكَفُّ غيرِه معه. وروي عن ابن عباس أنّ قوما كانوا يأتون النبي ﷺ؛ فإنْ أعْطاهم مَدَحُوا الإسلامَ وقالوا: هذا دينٌ حَسنٌ، وإنْ مَنَعَهم ذمُّوا وعابُوا". المغني لابن قدامة ٦/ ٣٢٨.

٣٨ كما قال علي بن الجهم:

طَلَبْتُ هَدِيَّةً لك باحْتِيالِي ... على ما كان مِنْ حِسِّي وبَسِّي!

بَــيَّنَﷺ أنَّ الهديةَ وَسيلةٌ إلى المحبةِ؛ وذلك "لأنَّ النفسَ مَجبُولةٌ على حُبِّ مَن أحْسَنَ إليها". [41] كما قيل:

أحْسِنْ إلى الناسِ تَستَعْبِدْ قلوبَهُمُ      فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ!

قال الشرنوبي رحمه الله: "انعقَدَ الإجماعُ على استحبابِ الهبة بجميعِ أنواعِها، قال الله تعالى (وتعاوَنُوا على البِرِّ والتقوى)، [42] والهبةُ بِرٌّ؛ ولأنها سَبَبُ التوادِّ والتحاب". [43]

فقـــد رتَّبَ المحبةَ على تعاطي الهدية، وأتى بِصيغةِ الْمُفاعَلة (تَهادَوْا)؛ للإشْعارِ بالثِّمارِ الاجتماعيةِ لِــ(تَبادُلِ) الهديةِ. [44]

---

فلمَّـــا لم أجدْ شيئاً نَفيساً      يكونُ هديَّةً أهْدَيْــتُ نفسي!

٣٩ قـــال ابـــن عابدين: "قوله (تَهادَوا) بفتح الدال. وضَمُّها خطأ، وبسكون الواو؛ لأنه صيغة خطاب لـــلجماعة من التهادي. وأصله تَهادَيُوا؛ لأنك تقول (تَهادى تَهاديا تَهاديوا)...كما في مادة (تعالَوا) أصله (تعالـــيوا) قـــال تعالى: (تَعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ) آل عمران ٦٤. والأصلُ أنَّ فِعلَ الأمرِ إذا لَحقَتْه واوُ الجماعة يُنظَرُ إلى مُضارَعِه؛ فإنْ خُتِم بألفٍ: كـــ(يتهادى) يُفتَح ما قبل الواو، وإن خُتِمَ بياءٍ: كـــ(يرمي) أو واو: كـــــ(يدعـــو) يُضَم ما قبلها". حاشية ابن عابدين ٤٢٢/٨. ط٢، دار الفكر بيروت، ١٣٨٦ هـــ.

٤٠ الأدب المفـــرد ٢٠٨/١، بـــاب (قـــبول الهدية) حديث ٥٩٤. وقال ابن حجر رحمه الله: "إسناده حسن". تلخيص الحبير ٦٩/٣، حديث ١٣١٥. وذكرَه ابنُ رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم ص ٣٣٢، وابـــن عـــبد الـــبر رحمه الله حيث قال: "أمَرَﷺ بالتوادِّ والتحابِّ؛ حتى قال: (تَهادوا تَحابُّوا)". التمهيد ١١٦/٦.

٤١ فيض القدير ٣٧٥/٦. وحاشية ابن عابدين ٤٢١/٨.

٤٢ المائدة ٢.

٤٣ مغني المحتاج للشرنوبي ٣٩٦/٢. دار الفكر، بيروت.

٤٤ وقـــد روى البخاري في باب (المكافأة في الهبة) ح ٢٤٤٥ عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول اللهﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها). وقد أشار إلى هذا المعنى السرخسي بقوله: "إنَّ التفاعُلَ يقتضي وُجودَ الفعلِ من الجانبين كالمفاعَلة". المبسوط للسرخسي ٥٤/١٢، دار المعرفة بيروت، ط١٤٠٦ هـــ. والكاساني في بدائع الصنائع ١٢٨/٦، دار الكتاب العربي بيروت، ط٢، ١٤٠٢ هـــ.

ولا ريــبَ أنَّ حُبَّنا للآخَرين هَدية جليلةٌ ولَذّةٌ عظيمةٌ؛ ولكنَّ بعضَ الناسِ يُحْرَمُون الشُّــعُورَ بلَــذةِ تقــديمِ الخيرِ للآخَرين؛ لأنَّهم يَفتقِرُون إلى الإحساسِ بهمومِ الناسِ وحلاوةِ إدخالِ السعادةِ على قُلوبِهم!

ورَحِــمَ الله صــاحبَ الظِّلال؛ حين قال: "كم نَمْنَحُ أنفسَنا من الطمأنينة والراحة والسعادةِ، حين نَمنَحُ الآخَرين عَطفَنا وحُبَّنا وثِقَتَنا؛ يوم تنمُو في نُفوسِنا بَذْرةُ الحبِّ والعَطفِ والخيرِ"![45]

## العَدلُ بين الأبناء في الهدايا:

لا شــكَّ أنَّ الهديــةَ عنوانُ المحبةِ للوالدَيْن والإخوانِ والزوجةِ والأبناء؛[46] وقد أمرَ الــنبيﷺ الآبــاءَ أن يُعدَلوا بينَ الأبناء ولا يُفضِّلوا بعضَهم على بعضٍ؛ سدّاً لذريعةِ الحسدِ والبغضاء بين الأبناء، كما روى النعمان بن بشير أنَّ أباه أتى به رسولَ اللهﷺ فقــال: إنِّي نَحَلْتُ ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول اللهﷺ: أكُلَّ وَلَدِك نَحَلْتَه مثلَ هذا؟ فقال: لا؛ فقال رسولُ اللهﷺ: فأرْجِعْه).[47]

## الهديةُ دَليلٌ على سَخاءِ النفس:

لا يخفــى أنَّ لــلهديَّةِ أبْعاداً نفسيّةً عديدةً، منها: الدلالة على السَّخاء،[48] وقد كان العربُ يفخَرُون بتقديمِ الهدايا، ويعتبرون ذلك دليلاً على سَخاءِ النَّفسِ.[49]

---

٤٥ أفراح الروح لِيد قطب، دار عمار، تحقيق د. صلاح الخالدي.

٤٦ كمــا روى ثابــت البُنانيﷺ قال: كان أنسﷺ يقول: (يا بَنِيَّ تَباذَلُوا بينَكم؛ فإنه أَوَدُّ لِما بينَكم) الأدب المفرد ٢٠٨/١، حديث ٥٩٥.

٤٧ رواه البخاري في (باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئا لم يجز حتى يعدل بينهم)، ح٢٤٤٥. ورواه مسلم في (باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة)، ح ١٦٢٣.

٤٨ ولقــد حضرتُ موقفاً عظيماً في طفولتي ما زال مُنطبعاً في قلبي وعقلي؛ فقد جاءت امرأةٌ فقيرةٌ من قريتــنا إلى والدي رحمه الله؛ فعلم من حالها شدةَ حاجَتِها، فأعطاها والدي، وجعلَ يملأُ لها ويزيد رحمة الله

فلـــلهَديّة دَلالاتٌ نفسيةٌ ذاتُ ثَمَرات اجتماعيّة طيِّبة؛ فهي تَعبيرٌ عن المحبة، ودليلٌ عــلى الرغبةِ في إصْلاحِ ذاتِ البَيْنِ، وتحريكِ المروءات، وإذهابِ ما بينَ الناسِ من الضغائنِ والعَداوات، كما قيل:

إنَّ الهديّــةَ حُلْوَةٌ كالسِّحْــرِ تجتذبُ القُلُــوبا!
تُدْنـــي البَغيضَ مِنَ الهوى حتى تُصيِّــرَه قَريبا!
وتُعيــدُ مُضْطَغِنَ العَــداوَة بعدَ نُفْــرَته حَبيبا!
تَنْفي السَّخيمَةَ مِنْ ذَوِي الشَّحْنا وتمتحِنُ القُلُوبا![50]

الهديةُ تعبيرٌ عن التوقيرِ:

مِن الدلالاتِ النفسيةِ للهديةِ أنها تَعبيرٌ عن الاحترامِ والتوقيرِ، وعلامةٌ على الترحيبِ بالضَــيفِ، فقــد قدَّمَــتْ أمُّ أُسَيْد للنبيِّ ﷺ نُقاعةَ التمر؛ حينما جاء يَزُورُهم ﷺ في العُــرس. فقد روى سهلُ بن سعد ﷺ أنّ أمَّ أُسَيد سُلامة بنت وُهَيْبٍ رضي الله عنها

عليه؛ حتى بكتْ وقالت: أنتَ والله والدي بعد موتِ أبي! فكأنني أشهد موقفَه الآن، رحمه الله ورفع مقامَه في علّيين.

٤٩ قال الزمخشري: "فلانٌ يُهَدّي للناس: إذا كان كثيرَ الهدايا، قال أبو خراش:
لقد عَلِمَتْ أمُّ الأُدَيْبِرِ أنّني أقولُ لها: هَدّي ولا تَذْخَري لحمي!" أساس البلاغة ص ٦٩٨.

٥٠ وقد عَبّرَ عن ذلك أحدُ الظرفاء، فقال:
عَلَيكَ الهَدِيَّةَ إنّي رَأيتُ لَها عِندَنا اليَومَ شَأناً عَظيما!
فَكَم مِن بُطَيطيخَة بَرَّدَت لَوافِحَ مِن قَبلُ كانَت سُمُوما
فَلا تَحقِرَنَّ قَليلَ الرُّشا فَريحُ الدَّواءِ تُحيطُ الكُلُوما!

أَلْقَعَتْ لرسولِ اللهِ ﷺ تَمْراتٍ في تَوْرٍ مِن حجارةٍ من الليل؛ (فلما فرَغَ رسولُ اللهِ ﷺ مِن الطعامِ أماثَتْه له؛ فسَقَتْهُ: تُتْحِفُهُ بذلك).[٥١]

اختلافُ النيةِ من تقديمِ الهدية:

لا ريبَ أنَّ الهديةَ تختلفُ على حَسَبِ نيةِ صاحبِها وأغراضِه النفسية؛ وقد ذكرَ القرطبي أنَّ الواهِبَ "لا يَخْلُو في هِبَتِه مِن ثلاثةِ أحوال: أحدها أن يريد بها وجهَ الله تعالى ويبتغي عليها الثوابَ منه. والثاني: أن يريد بها وُجُوهَ الناسِ رياء؛ ليَحمَدُوه عليها ويُثْنُوا عليه مِن أجلِها، والثالث: أنْ يريد بها الثوابَ مِن الموهُوب له.[٥٢] وقال ﷺ: (إنما الأعمالُ بالنياتِ؛ وإنما لكلِّ امرىءٍ ما نوى)؛ فأما إذا أراد بهِبَتِه وَجهَ الله تعالى وابتغَى عليه الثوابَ مِن عِندِه؛ فله ذلك عند الله بفَضلِه ورحمته، قال الله عزَّ وجل: (وما آتيتم مَن زكاةٍ تُريدُون وَجهَ الله فأولئك هم المضعِفُون). وكذلك مَن يَصِلُ قَرابتَه؛ ليكون غنيّاً حتى لا يكونَ كَلاً؛ فالنية في ذلك متبوعةٌ فإن كان لَيتظاهَرُ بذلك دُنياً فليس لوجهِ الله، وإن كان لما له عليه مِن حقِّ القرابةِ وبينهما من وشيجة الرحم؛ فإنه لوجه الله. وأما من أراد بهبته وجوهَ الناس رياء؛ ليحمدوه عليها

---

٥١ فتح الباري ١٠/٣١٣. قال النووي: "يقال: أتحفته به: إذا خصصته وأطرفته، وفي هذا جواز تخصيص صاحب الطعام بعض الحاضرين بفاخرٍ من الطعام والشراب؛ إذا لم يتأذَّ الباقون لإيثارهم المخصَّصَ لعلمه أو صَلاحه أو شرَفه أو غيرِ ذلك". شرح مسلم ١٣/١٧٧.

٥٢ ومما يدخلُ في هذا النوع: ما يُقدِّمُه بعضُ الطلبة مِن الهدايا لأساتذتهم المشرفِين؛ فيقبلونها على أنها هديةُ احترامٍ وتوقيرٍ؛ والحقُّ أنها (طُعْمٌ) لاصْطِيادِ الأستاذِ مِن أجلِ التسامُحِ في طباعةِ الرسائلِ قبل اكتمالها والتساهُلِ في مُراجعتها؛ فإنْ نصحَ الأستاذُ الطالبَ بالصَّبرِ والأناةِ ومُراعاة الضوابطِ العلمية؛ غَضبَ الطالبُ وصار يَمُنُّ على أستاذه بتلك الهدايا؛ التي قدَّمها له؛ ليكون له عبداً مُطيعاً! فاحذرْ أيها الْحُرُّ قبولَ الهديةِ التي تُلقيك في قيدِ العُبُوديةِ!

ويثنوا عليه من أجلها؛ فلا منفعة له في هِبَته: لا ثوابَ في الدنيا ولا أجر في الآخرة".[53]

## الهدية التجارية:

وقد ذكرَ المفسِّرُون الهديةَ التي يُعْطِيها بعضُ الطامعين؛ رغبةً في اكتساب أموالِ الناس، فقال الطبري رحمه الله في تفسيرِ قولِه تعالى: (وما آتَيْتُم من رِباً لِيَرْبُوَ في أموالِ الناسِ فلا يَرْبُو عِندَ الله وما آتيتُم مِن زكاةٍ تريدون وَجهَ الله فأولئك هم المضْعِفُون): "يقول تعالى ذِكْرُه: وما أعْطَيتُم أيها الناس بعضكم بعضا من عَطيةٍ لِتَزدادَ في أموال الناس؛ برجوع ثوابها إليه ممن أعطاه ذلك؛ (فلا يربو عند الله) يقول: فلا يزداد ذلك عند الله؛ لأنَّ صاحبَه لم يُعْطِه مَن أعْطاه مُبتغِياً به وَجهَه".[54]

## الهدية الرشوة:

من الوَرَعِ أن يُحاسبَ المرءُ نفسَه في الغَرضِ مِن الهديةِ التي يُقدِّمُها لغيره، ومِن الحكمةِ أن يتأمَّلَ الدوافعَ التي جَعلَتْ الآخَرين يُقدِّمُون له الهدية؛ فقد تكونُ الهديةُ ذريعةً لِحُصولِ مَفاسدَ عظيمةٍ مثل: أكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ؛ ولذلك قال مسروق ﷺ: "إنَّ القاضيَ إذا أخذَ الهدية؛ فقد أكلَ السُّحْت".[55]

وقد قال الجصاص رحمه الله: "كَرِهَ عُمَرُ بن عبد العزيز قبولَ الهدية، فقيل له: إنَّ النبيﷺ كان يقبلُ الهديةَ ويُثِيبُ عليها؟ فقال: كانت حينَئذ هديةً؛ وهي اليومَ

---

٥٣ الجامع لأحكام القرآن ٣٨/١٤.

٥٤ جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ٤٥/٢١. وقد نقلَ الطبري هذا التفسيرَ كذلك عن ابن عباسٍ وسعيد بن جبير ومجاهد وإبراهيم النخعي وطاوس وقتادة والضحاك، كل هؤلاء قالوا: "هو الرجلُ يُهدِي إلى الرجلِ الهدية؛ لِيُثِيبَه أفضلَ منها".

٥٥ أحكام القرآن للجصاص ٨٥/٤.

سُــحْتٌ! ولم يكره محمد[56] للقاضي قبولَ الهدية ممَّن كان يُهديه قبل القضاء؛ فكأنه إنمــا كَرِهَ منها ما أهْدِيَ له لأجلِ أنه قاضٍ؛ ولولا ذلك لم يُهْد له. وقد دلَّ على هذا المعنى قول النبيﷺ: (هلا جلسَ في بيتِ أبيه وأمِّه؛ فنظر أيُهدَى له أم لا؟) فأخبر أنه إنمــا أهْدِي له؛ لأنه عاملٌ، ولولا أنه عاملٌ لم يُهْدَ له، وأنه لا يحل له. وأما مَن كان يُهاديــه قــبلَ القضاء وقد أعلم به، لم يُهده إليه لأجلِ القضاء؛ فجائزٌ له قَبُولُه على حَسَــبِ ما كان يَقبَلُه قبل ذلك".[57] فالعبرةُ بالنظرِ في نيةِ المُهدي والغرضِ من هذه الهديــة؛ فإن خَشِيَ العبدُ فسادَ نيةِ المهدي ورجَّحَ أنْ تترتَّبَ عليها مَفاسِدُ شرعيةٌ؛ ردَّها؛ لأنها حينئذ (رشوة)؛ في صُورةِ (هدية)!

وقــد أشــارَ الــبخاريُّ رحمه الله إلى البواعثِ النفسيّة للهديّة في ترجمته البديعة في كتاب (الحِيَل)في (بابَ احتيالِ العاملِ ليُهْدَى له)! إشارةً إلى أنّه "لولا الطمعُ في وَضْعِه من الحقِّ؛ ما أُهْدِيَ له".[58]

وروى الشــافعي بــاب (الهديــة للــوالي بسبب الولاية) من (الأم) عن أبي حُمَيد الســاعديرضي الله عنه قــال: (اســتعمَلَ النبيﷺ رجلا من الأزد يقال له ابن اللُّتْبية على الصــدقة، فلما قَدِمَ قال: هذا لكم وهذا أُهْدِيَ إلَيَّ! فقام النبيﷺ على المنبرِ فقال: (مــا بــالُ العامِلِ نَبعَثُه على بعضِ أعْمالِنا، فيقول: هذا لكم وهذا أهْدِيَ إلي؟ فهلا جَلَسَ في بيتِ أبيه أو بيتِ أُمِّه؛ فينظر: أيُهْدَى له أم لا؟ فوالذي نفسي بيده لا يأخذ أحــدٌ منها شيئاً؛ إلا جاء به يوم القيامة يحملُه على رقبتِه: إنْ كان بعيراً له رُغاءٌ، أو

---

٥٦ يريد محمد بن الحسن الشيباني.

٥٧ أحكام القرآن للجصاص ٨٧/٤.

٥٨ فتح الباري ٣٦٩/١٤.

بقـــرةٌ لها خُوارٌ، أو شاةٌ تَيْعَرُ. ثم رفعَ يديه حتى رأينا عُفْرَةَ إبطيه، ثم قال: اللهم هل بلَّغتُ! اللهم هل بَلَّغتُ!). [٥٩]

## كراهةُ قَبُولِ هَدايا الجُفاة:

كَـــرِهَ بعضُ العلماءِ قَبُولَ هَدايا الجُفاة، كما قال ابنُ كثير رحمه الله: "لما أهْدَى ذلك الأعرابي تلك الهديةَ لِرسولِ اللهﷺ فردَّ عليه أضْعافَها؛ حتى رضيَ! قال: لقد هَمَمْتُ أن لا أقـــبلَ هديـــةً إلا مِن قُرَشي أو ثَقَفي أو أنصاري أو دَوسي؛ لأن هؤلاء كانوا يَسْكُنُون المدن: مكة والطائف والمدينة واليَمن؛ فهم ألطفُ أخلاقاً مِن الأعرابِ؛ لِما في طِـــباعِ الأعْرابِ مِن الجفاء". [٦٠] وقد تَرْجَمَ البخاريﷺ: (باب مَن لم يَقبَل الهدية؛ لعلـــةٍ)! وما أكثرَ العِلَلَ في زمانِنا الذي تفشَّى فيه الرياءُ والتصنُّعُ والنفاقُ، وقلَّ فيه الحياءُ واستَشْرَى فيه الْمَنُّ والأذى؛ فلْيَحْذَرْ المؤمنُون لاسيما أهل العلمِ والفَضلِ مِن قَـــبُولِ هدايا الجفاةِ واللئامِ؛ فذلك أورعُ في الدِّين وأبرأُ للعِرْضِ وأبعَدُ عن الشُّبْهةِ وأقربُ للتقوى؛ واللهُ المستعان!

## أعظم الهدايا:

لا ريـــبَ أنَّ أعظـــمَ هَدِيّةٍ يُقَدِّمُها المرءُ لأخيه: كلمةٌ صالِحةٌ ومَعرفةٌ نافِعةٌ ونَصيحَةٌ صـــادقةٌ، كما روى البخاري ومسلم أنَّ الصحابيَّ الجليلَ كعبَ بنَ عُجْرَةَﷺ قال لابـــنِ أبي مُلَـــيْكَةَ: (ألا أُهْـــدِي لك هديَّةً؟ قال: بلى؛ فأهْدِها لي!) فأهداهُ الصلاةَ

٥٩ الأم ٢/٥٨.

٦٠ تفسير القرآن العظيم ٢/٣٨٤.

الإبراهيمـــيّة على النبيﷺ!"[61] ورَحِمَ اللهُ أبا عبد الرحمن الحُبُلي فقد قال: "ليس هديَّةٌ أفضلَ مِن كلمةِ حِكْمَةٍ تُهْدِيها لأخيك"![62]

## أفكارُنا هَديةٌ لإسْعادِ الآخَرِين:

إذا كانــت الفِكــرةُ هي التي تَبني الإنسانَ، فإنَّ الكلمةَ الطيِّبةَ تُربِّي القلبَ والعقلَ والوِجدان. وما أحسنَ تعبيرَ سيد قطب عن هذا المعنى بقولِه: "إنَّ الفرحَ الصافي هو الــثمرةُ الطبيعــية لأنْ نرى أفكارَنا وعَقائدَنا مِلْكاً للآخَرِين، ونحن بعدُ أحياء. إنَّ مُجَــرَّد تصوُّرِنا لها أنها ستصبح؛ ولو بعد مُفارقتِنا لوَجهِ هذه الأرضِ زاداً للآخَرين وريّــاً، ليكفي لأنْ تَفيضَ قُلوبُنا بالرِّضا والسَّعادةِ والاطمئنان! (التجار) وحدهم هم الذيــن يحرصــون على (العلاقات التجارية) لبضائعهم... أما المفكّرُون وأصحاب العقائد، فكلُّ سَعادتِهم في أنْ يَتقاسَمَ الناسُ أفكارَهم وعقائدَهم، ويؤمِنُوا بها إلى حَدِّ أن يَنسِبُوها لأنفُسِهم، لا إلى أصحابِها الأوَّلِين! إنهم لا يَعتقدُون أنهم (أصحابُ) هذه الأفكــارِ والعقائدِ.. وكلُّ فَرَحِهم المقدَّس؛ إنما هــو ثَمرةُ اطمِئنانِهم إلى أنَّهم على اتصالٍ بهــذا النَّبعِ الأصيل"![63]

## المبحث الثالث: الدلالاتُ الاجتماعية للهدية:

## الهديةُ وثَمَراتُها الاجتِماعية:

إنَّ الهديّــةَ هِــبَةٌ مِنْ مُحِبٍّ، وعَطيَّةٌ مِنْ صاحِبِ وُدٍّ؛ ولذلك جاءَ ذِكْرُ (الهديّة) في كــتابِ (الهِبَةِ وفَضْلِها والتَّحْرِيضِ عليها) مِن البُخاري، حيث عَقَدَ لها أبواباً كثيرةً

---

61 رواه البخاري 3/1233، حديث 3190، ومسلم 1/305، حديث 405.

62 سنن الدارمي 1/100. دار الفكر القاهرة. ط 1398 هـ. فالمعرفةُ والتربية والتزكية خيرُ هدية، كما قيل: نِعْمَ الهديةُ يَهتدي السارِي بها فقد التقَتْ فيها الهديةُ والْهُدَى!

63 أفراح الروح لسيد قطب دار عمار، تحقيق د. صلاح الخالدي.

مثل باب (قَبول الهديَّة)،[٦٤] و(ما لا يُرَدُّ من الهديَة)،[٦٥] وباب (مَنْ أهْدَى إلى صاحبه، وتَحَــرَّى بعضَ نسائه دون بعضٍ)، قال ابنُ حجر: "فيه قَصْدُ الناسِ بالهدايا أوقاتَ المسرَّةِ ومَواضِعَها؛ ليزيدَ ذلك في سُرُورِ المُهْدَى إليه".[٦٦]

ولِلهَديةِ ثَمَراتٌ اجتماعيةٌ كثيرةٌ، مِنها: صِلَةُ الأرحامِ ونَشْرُ المحبة بين الجيرانِ، ورأبُ مـــا قد يحصُلُ بينَهم، فقد روى البخاري في باب (بمن يُبدأ بالهدية؟) أنَّ النبيَّ ﷺ قال لمـــيمونة: (لو وَصَلْتِ بعضَ أخوالِك؛ كان أعظمَ لأجرِك!)، وقال القرطبي رحمه الله: "فـــإنَّ عائشةَ رضي الله عنها إنما سألَتْ النبيﷺ عمَّن تبدأ به مِن جيرانِها في الهدية؟ فأخْـــبَرَها أنَّ مَـــنْ قَرُبَ بابُه؛ فإنه أوْلَى بها مِن غَيرِه".[٦٧] وقال الشربيني رحمه الله: "صَـــرْفُها في الأقاربِ والجيرانِ أفضلُ مِن صَرْفِها في غيرِهم؛ لما في الأولِ مِن صِلَةِ الـــرَّحِمِ، ولِما رُوِيَ في الثاني مِن قولِهﷺ (مَن كان يؤمِن باللهِ واليومِ الآخرِ؛ فلْيُكْرِمْ جارَه".[٦٨]

---

٦٤ وقد نبه الشوكاني على ما يترتب من المفاسدِ على عدمِ قبولِ الهدية؛ "لما في ذلك مِن جَلبِ الوحشةِ وتنافرِ الخواطرِ؛ فإنَّ التهاديَ مِن الأسبابِ المؤثِّرَةِ للمَحبة". نيل الأوطار ١٠٠/٦.

٦٥ روى الـــبخاري عن عزرة بن ثابت قال: حدثني ثمامة بن عبد الله قال: (دخلتُ عليه فناولني طيباً، قـــال: كان أنس لا يرد الطيب، وزعم أنس أن النبيﷺ كان لا يرد الطيب)، وروى الترمذي ١٠٨/٥، بـــاب (مـــا جـــاء في كراهية رد الطيب) عن ابن عمر قال: قال رسول اللهﷺ: (ثلاثٌ لا ترد: الوسائد والدهن واللبن)، قال الترمذي: الدهن يعني به الطيب، حديث ٢٧٩٠. قال ابن حجر: "إسناده حسن". فتح الباري ٢٠٩/٥.

٦٦ فتح الباري ٥٢٣/٥.

٦٧ الجامع لأحكام القرآن ١٨٤/٥. والحديث في باب (بمن يُبدأ بالهدية؟).

٦٨ مغني المحتاج لمحمد الخطيب الشربيني ٣٩٦/٢. دار الفكر، بيروت.

وقد افتتحَ البخاريﷺ كتابَ (الهبة وفضلها) بحديث أبي هريرةﷺ عن النبيﷺ قال: (يا نساءَ المسلماتِ لا تحقرَنَّ جارةٌ لِجارتِها ولو فِرْسَنَ شاة).[69] قال ابن حجر: "أي لا تمنع جارةٌ من الهدية لِجارتها الموجودَ عندها؛ لاستقلاله، بل ينبغي أن تجودَ لها بما تيسَّرَ وإن كان قليلا؛ فهو خيرٌ من العَدَم... وفي الحديث الحضُّ على التهادي ولو باليَسير لأنَّ الكثيرَ قد لا يتيسَّرُ كلَّ وقت؛ وإذا تواصَلَ اليسيرُ صار كثيراً. وفيه: استحبابُ المودة وإسقاطُ التكلُّف".[70]

ولا شَكَّ أنَّ لِلهديّة مَوقِعاً عَظيماً في النفسِ، فهي أسلُوبٌ مُوَفَّقٌ ومَنهَجٌ للسلامِ الاجتماعي اتَّبَعَتْهُ بلقيسُ؛ التماساً للثَّمرات الاجتماعيَّةَ للهَدية، فقالت: (وإنِّي مُرْسِلَةٌ إليهم بهَدِيةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ يَرجِعُ المرسَلُون)[71] فقد تنالُ الهديةُ إعجابَ سليمان ﷺ؛ فيقبلها ويكُفُّ عنها! قال قتادة: "يَرْحَمُها الله؛ إنْ كانت لَعاقِلةً في إسْلامِها وشِرْكِها؛ قد عَلِمَتْ أنَّ الهديةَ تقعُ مَوقِعاً مِن الناس".[72]

---

٦٩ صحيح البخاري ٢/٩٠٧، كتاب الهبة، باب فضلها والتحريض عليها، حديث ٢٤٢٧. وفِرْسَن الشاة (بكسرِ الفاء وإسكانِ الراء): ظلفُها. تلخيص الحبير لابن حجر ٣/٨١، وتاج العروس للزبيدي ٤/٢٠٧.

٧٠ فتح الباري ٥/١٩٨. وقد أثنى العربُ مِن قديمِ الزمانِ على المرأةِ التي تتفقَّدُ جاراتِها وتُهْدي لهن، فقال الشَّنفَرَى يَمدحُ أُمَيمة:

بِعَيْنَيَّ مَن أمْسَتْ فَباتَتْ فَأصبحَتْ    فَقَضَّت أُمُوراً فَاستَقَلَّتْ فَوَلَّتِ
تَبِيتُ بُعَيدَ النَومِ تُهْدي غَبُوقَها    لِجارَاتِها إذا الهَدِيَّةُ قَلَّتِ!

٧١ النمل ٣٥.

٧٢ الجامع ١٣/٢٠٠، وتفسير القرآن العظيم ٣/٣٦٣.

ومــا ألطَفَ أنْ تُهْدِيَ إلى المريضِ ما يُعينُه على الشِّفاء: مِن عَسلٍ أو دواءٍ أو كلمةٍ طيِّــبةٍ أو دُعــاء؛ فإنــه مُحــتاجٌ إلى مثلِ هذه الصِّلَة النفسيةِ التي تُشعِرُه بالرِّعايةِ والعنايةِ![73]

انحِرافُ التعامُلِ مع الهَدِية:

لقــد انحــرفَ فِقــهُ الهديّةِ عند بعضِ الأنفُس الدَّنِيَّة التي استذَلَّها الطمعُ واستزَلَّها الجَشَــعُ؛ فانصرفوا عن المعاني الإنسانيّة للهديَّة ودلالاتها الشرعيّة: مثل التعبيرِ عن الأُخُوَّةِ والمحبّةِ الإيمانيّةِ إلى المكاسبِ المادّيّةِ والأغراضِ الدّنيويّة؛ حتى قال قائلُهم:

ما مِنْ صَديقٍ وإنْ أبْدَى مَودّتَهُ      بأنْجَحَ في الحاجاتِ مِنْ طَبَقِ!
إذا تقنَّعَ بالمنــديلِ مُنــطلقاً      لم يخشَ نَبْوَةَ بوّابٍ ولا غَلَقِ!
لا تُكْثِرَنَّ فإنَّ الناسَ قد خُلِقوا      لرغبــةِ ما يُعطَوْن أو فَرَقِ!

فهَدايــا الــناسِ نابعــةٌ مِــنْ ضَمائرِهم ودوافِعِهم في تَقديمِها وتابِعةٌ لمقاصِدِهم في تَحصــيلِها: إمّــا قُــربةٌ صالحةٌ؛ يُؤجَرُون عليها، وإمّا عَطيَّةٌ يأثَمُون بسَبَبِها؛ لِسُوءِ نــيّاتِهم، كما قال الله تعالى: (ومِنَ الأعْرابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ مَغْرَماً ويتربَّصُ بكُمُ الدَّوائر)![74]

وكــأيِّنْ مِــنْ هَدِيَّــةٍ لا يُعْطيها أصْحابُها إلا اعتداءً على الناسِ؛ وإمْعاناً في مُحاباةِ الأغنياء وابتغاءَ مَرْضاةِ الوُجَهاء؛ فلا يكون لِهَدِيَّتِهم ثَمْرةٌ يُحَصِّلُونها إلا العَناء! كما قيل:

قَبولُ الهدايا سُنّةٌ مُستحبَّةٌ      إذا هي لم تَسْلُكْ طريقَ تَحابي!

---

٧٣ ولذلك ترى المريضَ مُدركاً لما تتضمّنُه الهديةُ من المعاني الإنسانية وإنْ قَلّت، كما قال قائلُهم:

أهْدَيْتَني منكَ لَيموناً شُفيتُ به      وزالَ داءٌ بقلْبِ الصَّبِّ مَدْفُونُ!
وَإِنّني مُرْسِلٌ في ذَلِكُم مَثَلاً      هَدِيّةُ المُحسنِ المَنّاحِ لَيْمُونُ!

٧٤ التوبة ٩٨.

وقد ظهرَ هذا واضحاً في مَوقفِ النجاشي حينما رَدَّ هدايا مُشرِكي قريشٍ؛ لِيسلّمَهم المستضعَفين مِن المؤمنين؛ فقالﷺ: "رُدُّوا عليهما هَداياهما فلا حاجةَ لنا بها؛ فوالله ما أخَذَ اللهُ منّي الرشوةَ حين ردَّ عَلَيَّ مُلْكي فآخُذ الرشوةَ فيه"![75]

ولله دَرُّ مَنْ قال مُبيّناً علاقةَ خِسَّة الهَديّة بطبيعةِ الشّخصيّة:

هَديّةُ المرءِ تُنْبي عن مُروءتِه ... وعن حَقارةِ مُهْدِيها وخِسَّتِه!

وما تَحُطُّ مِنَ المُهْدَى إليه إذا ... كانتْ محقَّرَةً عنْ قَدْرِ رُتْبَته!

فاغْفِرْ جريمةَ مَنْ خَسّتْ هَدِيّتُهُ فتلك منهُ على مِقْدارِ همَّتِه!

## الهَدية مَطِيَّةٌ لِلمَآرِبِ السِّياسية:

إنَّ مِن خُطورةِ الحِيَلِ النفسيَّةِ أنْ تنحَرفَ البواعثُ الصادقةُ لإعطاءِ الهَدية؛ فتَفقدُ مَعانيَها الإنسانيةَ ودوافعَها الإيمانية ومَغازيَها التربويّة! وتَنقَلبُ إلى نَوْعٍ مِنَ الأمراضِ الاجتماعيّة؛ حيث تُصبحُ الهديّةَ مَطِيَّةً لِتَحْصيلِ المآرِبِ السياسيّة واستغلال[76] المكانة الاجتماعيّة. وقد روى أبو حُمَيد الساعديﷺ عن النبيﷺ قال: (هدايا العُمَّالِ غُلولٌ).[77]

---

٧٥ مسند أحمد ٥/٢٩٢. المكتب الإسلامي بيروت.

٧٦ الاستغلال: من الألفاظ المُحدَثَة التي أقرّها مجمع اللغة العربيّة في القاهرة، فقد جاء في (المعجم الوسيط ص ٦٩٢): "استغلَّ فلاناً: انتفعَ منه بغيرِ حقٍّ؛ لِجاههِ أو نُفُوذِهِ".

٧٧ قال العجلوني: "رواه أحمد وابن ماجه عن أبي حميد الساعدي به، وعند أبي يعلى عن حذيفة (هدايا العمال حرام كلها)، ولابن عساكر عن عبد الله بن سعد (هدايا السلطان سحتٌ وغلولٌ) ورواه الطبراني عن ابن عباس بلفظ (الهدية إلى الإمام غلول)، ولعبد الرزاق عن جابر (هدايا الأمراء سحت)". كشف الخفاء ٢/٤٤٥.وقال عمر بن الملقن: "حديث (هدايا العمال غلول) رواه أحمد والبيهقي من رواية أبي حميد الساعدي بإسناد حسن". خلاصة البدر المنير ٢/٤٣٠.

وهذا سِرُّ تخريجِ البُخاريِّ في كتاب (الأحكام) حديثَ الوالي الذي كان يأخذُ الهديَّةَ (يقـــول: هــــذا لكم، وهذه هديّةٌ أُهْدِيَتْ لي!) وأخرجَهُ مُسلم في كتاب (الإمارة)؛ إشـــارةً إلى علاقـــتِهِ بالسياسةِ الشرعيّة كما يشهد لذلك لفظُ ترجمةِ البخاري التي عقَدَها لِهذا الحديث: باب (مُحاسَبَةِ الإمامِ عُمّالَه).

وَيوُضِّحُ هذا الاستغلالَ للولايةِ السياسيّة والمكانةِ الاجتماعيّة في تحصيلِ الهديّة قولُ الـــنبيِّ ﷺ: (إنِّي أستعملُ رجالاً منكم على أمُورٍ مما ولاني الله؛ فيأتي أحدُكم فيقول: هذا لكم وهذه هديّةٌ أُهدِيَتْ لي؛ فهلا جلسَ في بيتِ أبيهِ وبيتِ أُمِّهِ حتى تأتيه هديَّتُهُ إن كان صادقاً)![78]

## الهديةُ والمَكاسِبُ المادية:

وأمـــا المكاسِبُ الماديَّةُ التي تُحَصَّلُ؛ تَبَعاً للصِّفَةِ الاجتماعيَّةِ والوظيفةِ السياسيَّة، فقد تَرْجَمَ الترمذيُّ في شأنِها في كتاب (الأحكام) باب (ما جاء في هَدايا الأمَراء):[79] أي مـــا تقـــرَّبَ الناسُ إلى الأمراء به من الهدايا؛ اعتباراً لوظائفِهم السياسية والإدارية؛ حيث يكون الدافعُ استغلالَ هذا النُّفُوذِ واشتِراءَ الذِّمَمِ بالمال!

ومـــا زال في الـــوُلاةِ قديماً وحَديثاً مَنْ يَتقاضَى الهدايا لِقَضاءِ حَوائجِ اللِّئام، ويأكل لأجلِ ذلك الحلالَ والحرام! مُتمثِّلاً قولَ القائلِ:

إذا أردتَ قضاءَ الحاجِ من أحَدٍ     قدِّمْ لنَجْواك ما أحْبَبْتَ مِنْ سَبَبِ!
إنّ الهدايـــا لها حَظٌّ إذا وَرَدَتْ     أحْظَى مِنَ الابنِ عِندَ الوالدِ الحَدِبِ!

---

٧٨ فتح الباري ١٥/٩٨.

٧٩ الجامع الكبير للترمذي ٣/١٤. دار الغرب الإسلامي بيروت. ط٢. ١٤١٨ هـ.

### هَديةُ الاختبار:

ذكر المفسِّرُون هديةَ الاختبارِ عند قولِ بلقيس: (وإنِّي مُرْسِلَةٌ إليهم بِهَدِيةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ يَـرجِعُ المرسَـلُون)[80] قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: "قال ابنُ عباس وغيرُ واحد: قالت لِقَومِها: إنْ قَبِلَ الهديةَ؛ فهو مَلِكٌ؛ فقاتِلُوه، وإنْ لم يَقبَلْها فهو نَبِيٌّ فاتَّبِعُوه".[81] وقال القـرطبي رحمـه الله: "هذا مِن حُسنِ نَظرِها وتَدبيرِها؛ أي إنِّي أُجَرِّبُ هذا الرجلَ بهديـةٍ وأعْطِيهِ فيها نفائسَ مِن الأموالِ، وأُغْرِبُ عليه بأمُورِ المملكةِ؛ فإنْ كان مَلِكاً دُنياوياً؛ أرْضاه المالُ وعَمِلْنا معه بِحَسَبِ ذلك، وإنْ كان نَبياً؛ لم يُرْضِه المالُ ولازَمَنا في أمْرِ الدين؛ فيَنبغِي لنا أنْ نُؤمِنَ به ونَتبعَه على دِينِه".[82]

### هدايا المدَّاحِين والمداهنِين:

مِـن الهدايـا المذمُومةِ التي تَضُرُّ ولا تنفَعُ قصائدُ المديحِ الكاذبُ؛ التي لا يَصُوغُها الشـعراءُ إلا طَمَعاً في العطاءِ،[83] فإنْ نالوا جزاءَ مَدْحِهم الكاذبِ رَضُوا![84] وإنْ لم تُـؤتِ مَدائحُهم أُكْلَها؛ إذا هم يَسْخَطُون؛ فتراهم يَتقلَّبُون بين المديحِ المُفْرِطِ عند الرِّضَى والهجاءِ المُقْذِعِ عند الغَضب؛ حتى يقولَ الواحدُ منهم فاضِحاً نَفْسَه كاشِفاً حاجتَه مِن وراءِ مَدْحِه:

لئن أخطأتُ في مَدْحِـك ما أخطأتَ في مَنْعِي!

---

٨٠ النمل ٣٥.

٨١ تفسير القرآن العظيم ٣/٣٦٣.

٨٢ الجامع ١٣/١٩٦.

٨٣ فلِسانُ حالِ الواحدِ منهم: بَعَثْتُ بِمَدْحِي قبلَ كلِّ هَدِيّةٍ ... لأنِّي له دونَ الهديَّةِ مالكُ
ولا شيءَ غيرَ المدحِ يَبْقَى لأنه ... مُقيمٌ جديدٌ والهدايا هَوالكُ!

٨٤ وقال قائلُهم: وَكَمْ تَطَلَّبْتُ ما أُهْدي فَما اقتَصَرَتْ ... على الذي بَلَغَتْهُ الطَّاقَةَ الهِمَمُ
إنَّ الهَدايا وَخَيرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ ... تَفْنى ـ بَقِيتَ ـ وَتَبْقى هذه الكَلِمُ!

لقد أنزَلْتُ حاجاتي بوادٍ غيرِ ذي زَرْعِ!

ولكــنَّ أخطرَ الهدايا وأشدَّها ضَرَراً على الناسِ: ما تعلَّقَ بالمداهَنةِ في الدينِ والتشبُّهِ بالكافــرين؛ وقــد حَــذَّرَ أهلُ العلمِ مِن تقديمِ الهدايا أو قَبولِها في أعيادِ الكفارِ،[٨٥] ومَنعُوا إعانةَ المسلِمِ المتشبِّه بهم في عِيدِهم على تشبُّهِه؛ لما في ذلك من الرِّضَى بالكُفرِ والإقــرارِ بــه؛ وقد قال الله عزَّ وجلَّ: (إنْ تَكْفُرُوا فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عنكم ولا يَرْضَى لعِــبادِه الكُفرَ).[٨٦] قال ابن تيمية رحمه الله: "وكما لا نتشبَّهُ بهم في الأعياد، فلا يُعان المســلِمُ المتَشبِّهُ بهم في ذلك؛ بل يُنهَى عن ذلك، فمَن صَنَعَ دَعْوةً مُخالفةً للعادةِ في أعيادِهم؛ لم تُجَبْ دَعْوَتُه، ومَن أهْدَى من المسلمين هَديةً في هذه الأعيادِ ــ مُخالفةً للعادةِ ــ في سائرِ الأوقات غيرِ هذا العيدِ لم تُقبَلْ هَديتُه؛ خُصُوصاً إنْ كانت الهديةُ ممَّــا يُســتَعان بهــا على التشبُّهِ بهم، ولا يَبيعُ المسلمُ ما يستعينُ به المسلمُون على مُشــابَهَتِهم في العِــيدِ: مِــن الطعــامِ واللباسِ ونحو ذلك؛ لأنَّ في ذلك إعانةً على المنكَرِ".[٨٧]

---

٨٥ وأمــا إعطاء الهدية للمشركين في غير أعيادهم فجائزةٌ إذا كانت بغرضِ التألُّفِ لمن يُرجَى دُخولُه في الإســلام كما مر، أو صِلةً للأرحام، كما روى البخاري في باب (الهدية للمشركين) أنَّ عمر رضي الله عنه أرسل حُلَّــةً إلى أخٍ له مِــن أهلِ مكة قبل أن يُسلِم)، صحيح البخاري ٩٢٤/٢، حديث ٢٤٧٦. وعن أسماء بنــت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: (قدمَتْ علَيَّ أمي وهي مُشركةٌ في عهدِ رسول الله ﷺ فاستفتيتُ رســولَ الله ﷺ قلت: إنَّ أمي قدمَت وهي راغبةٌ؛ أفأصِلُ أمي؟ قال: نعم؛ صِلِي أُمَّكِ). المرجع السابق، حديث ٢٤٧٧.

٨٦ الزمر ٧.

٨٧ اقتضــاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ٥١٩/٢-٥٢٠. وقال ابنُ القيم رحمه الله: "أما التهنــئةُ بشعائرِ الكفرِ المختصَّة به فحَرامٌ بالاتفاقِ: مثل أن يُهَنِّئهم بأعيادهم وصَومِهم... وكثيرٌ مِمَّنْ لا قَدْرَ للدِّينِ عِندَه يَقعُ في ذلك؛ وهو لا يدري قُبْحَ ما فعل. فمَن هنَّأ عبداً بمَعصيةٍ أو بدعةٍ أو كفرٍ؛ فقد تعرَّضَ لمَقتِ الله وسَخَطِه". أحكام أهل الذمة ٤٤١/١-٤٤٢.

الهدية والسياسة الدولية:

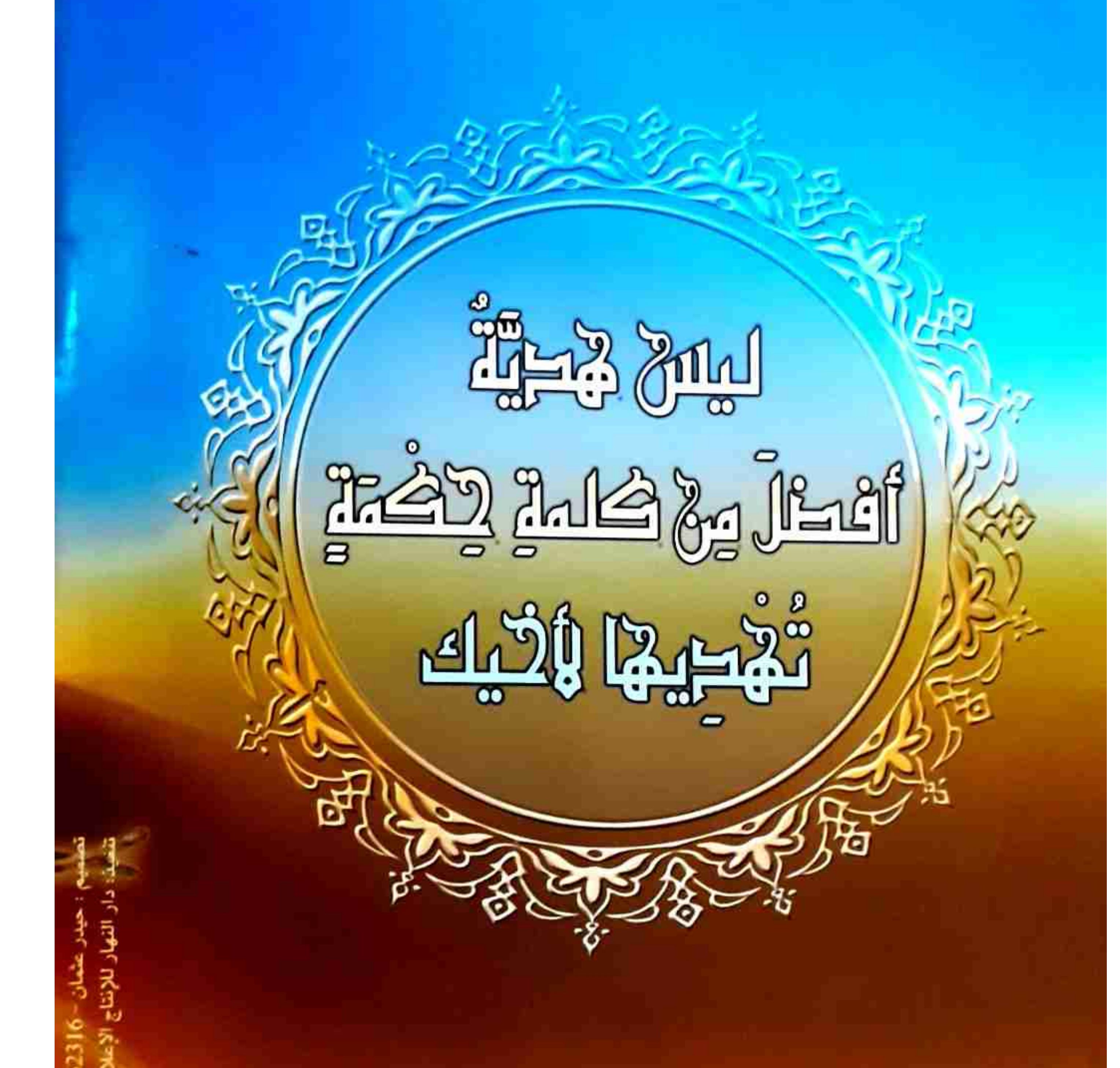
لا شكَّ أنَّ هذا النوعَ من (الهدايا) قد استَشْرَى في السياسةِ الدولية المعاصِرة؛ حيث (استُعْمِرَتْ) كثيرٌ من الدول (المستقلّة) التي استجابتْ لِدَواعي (الإهداء) والإغواء؛ فصارتْ بذلك أسيرةَ المصالحِ السياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ والثقافيَّةِ والأمنيَّةِ للدُّوَلِ التي تُغطِيها (الإعانات الاقتصاديّة) في مُقابِلِ التنازُلِ عَنْ قليلٍ أو كثيرٍ مِنْ مَصالحِها الحيويّة! وكَمْ مِن دولةٍ كانت ترفُلُ في أثوابِ الحُريَّةِ؛ فاستخفَّ قادتَها قُوًى دوليةٌ واستعبَدَتْهُم بِمُجرَّدِ (هديَّة)![88]

يا أيها الناسُ.. إنَّ هذه الدُّوَلَ التي تَهَبُكم في كلِّ عامٍ (هَدِيّةً)؛ إنما تقتلُ فيكم كلَّ يومٍ ما تَبَقّى من مقوِّماتِ (الهويّة)![89]

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسولِ الله، وعلى آله وصَحبِه ومَن والاه.

---

٨٩ ورحم الله الشيخ السعدي حيث قال في تفسيرِ قَولِ الله تعالى: (ولا يَزالُون يُقاتِلُونكم حتى يَرُدُّوكم عن دِينِكم إن استَطاعُوا): "هذا الوَصْفُ عامٌّ لكلِّ الكفار: لا يزالون يُقاتِلُون غيرَهم؛ حتى يردُّوهم عن دينِهم، وخُصُوصاً أهلَ الكتاب مِن اليهود والنصارى الذين بَذَلُوا الجمعيّات ونشروا الدُّعاةَ وبثُّوا الأطِبّاء، وبَنَوا المدارسَ؛ لجذبِ الأمم إلى دينِهم، وتدخيلِهم عليهم كل ما يُمكِنُهم مِن الشُّبَهِ التي تُشكِّكُهم في دينِهم". تيسير الكريم الرحمن ص ٩٧.





تصميم : حيدر عثمان - 0912962316
تنفيذ: دار النهار للإنتاج الإعلامي - 0912144603


# الهدية

## دَوافِعُها الإيمانية
## ودلالاتُها النفسية والاجتماعية

يذهب رِيعُ هذا الكتاب لِدَعْمِ الأيتام